تطور العلاقات السلعية والنقدية في شرقي الاردن :

رغم اتسام اقتصاديات شرقي الاردن حتى فترة الحرب العالمية الاولى بطابعها الطبيعي ـ المعيشي ورغم ان اقل بقليل من نصف سكانهـا كانوا من البدو الرحل وانصاف الرحل • ورغم محدودية الاقتصاد البضاعي والتبادل البضاعي • فان جميع الجماعات السكانية ذات الانماط الطبيعية (الرعوية والزراعية) كانت على صلة وطيدة بالتجارة وبالتبادل التجاري مع الخارج • (ويروي لنا صلاح ميريل Selah Merril (١٧٧٥) عن مشاهداته للتجار القادمين من الهند لشراء الخيول او الجمال (٣١) ، والواقع ان تجارة القبائل مع الخارج كانت قويـة منذ فترة بعيدة ، ونعني هنا القبائل الكبيرة ذات السطوة والنفوذ ، التي كانت قادرة لا فقط على تجديد انتاجها بفضل مراعيها الواسعة وهيمنتهـا على المناطق الخصبة ومصادر المياه ، وانما بفضل اقتطاعها الفائض من الفلاحين من جهـة ومن القوافل التجارية وقوافل الحجيج • وبفضل الفائض ذي المصدر الخارجي وبفضل ظروف اقتصادها الرعوي الجيدة ، كان شيوخ هذه القبائل اشبه بالسادة الاقطاعيين ، ويستحوذون على قطعان خاصة منفصلة عن القبيلة • وكانت هذه القطعان موضوعا للتبادل مع الخارج ، لقاء حاجياتهم الاستهلاكية ولقاء سلـع البذخ والرفاه • وهذا هو حال القبائل الكبيرة المتعاقبة ، السرحان ، السردية ، عنزة ، بني صخر والعدوان ••• الخ • لقد كانت تجارة المـدن السوريـة والفلسطينية والمصرية مع البدو تجارة مزدهرة • لكن اقتصاد هذه القبائـل ذاته ، اي علاقاته لم تكن بضاعية ، بل طبيعية ، شبه مشاعية •

اما اقتصاد الريف الشمالي ، فقد اتسم بسيطرة علاقات الملكية الاقطاعيـة والبطريركية من جهة ، وكان لهذا الاقتصاد صلات متزايدة مع السوق الخارجي ولا سيما مع فلسطين والشام من جهة ثانية ويبدو ان فترة نهاية القرن التاسـع عشر كانت فترة ازدهار الاقتصاد البضاعي والعلاقات البضاعية الداخلية • اذ كانت الظروف الاجتماعية والطبيعية مهيأة لمثل هذا التطور • وكانت الزراعـات ذاتها ذات طابع سوقي ـ بضاعي : بساتين فواكه وثمار وخضروات • وكانـت

---

(٣١) «يبيع البدو جمالهم وماشيتهم كي يشتروا الحبوب والقهوة والارز والسكر ورؤوس الرماح ، والاقمشة القطنية ، وتستورد مصر اكثر الجمال من سورية والبادية السورية ، وتقوم الجمال بنقل كل اصناف التجارة فيما بين ساحل البحر الابيض المتوسط وحوض الفرات (•••) لكن البدو لا يبيعون الجمال الا بقصد شراء اشياء اخرى يحتاجون اليها (•••) وقد شاهدت قطعان كبيرة من الشياه والحملان ، تعد بالالاف ، وهي في طريقها من سهول البلقاء والكرك الى اسواق القدس او المدن الساحلية •••»
راجع ، صلاح ميريل : الى الشرق من الاردن (١٨٧٥) ، « في ربوع الاردن » ص ٨٣ •